

مفهوم الطغيان ودلالاته السياسية في القصص القرآني

الطالب - أحمد رحم صالح

أ.د. عامر عمران الخفاجي

جامعة بابل - كلية الدراسات القرآنية

المقدمة

إن أفضل الدروس والعبر تكمن في قصص الماضين ولاسيما الأنبياء العظام و الأمم والشعوب التي كانت تحكم مساحات كبيرة من الأرض ثم انقضت ، ويبين لنا أسباب هذا الانقراض وهذه الهزيمة ، فهو يعيد لنا طريق النجاة وتجنب تكرار تجارب الماضين ؛ لأنها من أكثر التجارب قيمة ، فقصصهم مرآة تنعكس عليها جميع ما للمجتمعات الإنسانية من محاسن ومبادئ و رقي وانحطاط والعوامل لكل منها، وبما إننا نعيش اليوم هذه الصعوبات من الحياة ، ويُعد الطغيان من أهم العوامل الموصلة لهذه النتيجة ، ونجد تكرار الطغيان و مصاديقه في القصص القرآني يدل على دوره في تخريب الحياة على جميع الأصعدة منها السياسية و الاجتماعية والاقتصادية ، والطغيان في القصص القرآني أطلق على أفراد و أقوام ، وهذا يبين لنا خطر هذه الآفة على الفرد والمجتمع ، ويحتل فرعون موقعا بارزا في

تاريخ الطغاة في الأرض ، وهو يتقدم وبقدرته قومه يوم القيامة إلى النار ، هذا الطاعي الذي خصه القرآن بإرسال الأنبياء ، فكل الأنبياء أرسلوا إلى أقوامهم ، لكن موسى و هارون (عليهم السلام) أرسلوا إلى الفرعون **ثأثأ** **أيزيم** **ين بي بي** **بي** **طه** : [٤٣] ، وهذا النموذج الطاعي الذي صار مثالا لكل الطغاة ، وعبرة لكل الأمم لاجتناب من يتصفون بصفات فرعون ويسيروا على سنته ، و بين سبحانه وتعالى مصير هذا الطاعي وذكر القرآن نماذج أخرى لطيغان الأفراد .

إننا في هذا البحث سوف نتناول هذا المصطلح ذو الدلالة السياسية في القصص القرآني تحديدا ، وهذا التحديد لا ينفي وجوده في غير القصص القرآني ، وإنما أراد البحث أن يبرز مفهوم الطغيان ودلالاته السياسية في القصص القرآني وهذا المصطلح الذي يعد من أبرز ما اتصف به المتسلطين آن ذاك .

Summary

The study dealt with a serious political phenomenon in the Quranic stories which is the phenomenon of tyranny, the presence of tyrants in societies, the negative impact that this phenomenon has on societies and individuals, and the research that tyranny is sometimes a characteristic of a whole society and not of individuals or a particular ruler.

We also showed how God Almighty singled out one of the

tyrants, Pharaoh, by sending messengers to him because of his tyranny and arrogance.

The second demand was the definition of tyranny in the language and terminology, and the second demand dealt with the characteristics of the tyrants that came in the Quranic stories, such as arrogance, tyranny, and asceticism. The fourth requirement was about the taint of tyranny in Quranic stories.

These were the mockery, , And arrogance

والطغيان الاعتداء في حدود الأشياء ومقاديرها^(٤).

وقيل وأطغاه المال والسلطان جعله طاغياً^(٥).
وطغى الماء والبحر ارتفع وعلا على كل شيء فاخترقه^(٦).

يقال : وطغى فلان علا في الكفر ، وأسرف في المعاصي والظلم^(٧).

وجاء في المفردات طغواناً وطغياناً ، وأطغاه كذا : حمله على الطغيان ، وذلك تجاوز الحد في العصيان ، والطاغوت عبارة عن كل

المطلب الأول : مفهوم الطغيان في اللغة والاصطلاح

أولاً : لغة

الطغيان مشتق من الجذر الثلاثي (طغى) ولام الفعل ، إما أن تكون من واو أو ياء ، فيقال : طغوت و طغيت^(١).

ويرى ابن فارس : الطاء والغين والحرف المعتل أصل صحيح منقاس ، وهو مجاوزة الحد في العصيان^(٢).

الجبار العتيد الأحمق المستكبر^(٣).

بعد أن أخرجه طلب الاستمهال ثَأْتَأُ ١٤٤ مَر
 نُرْنِمُ [الأعراف: ١٤]

بقي مستبداً بنهجه حتى يأتي الله تعالى بذلك
 اليوم .و استمر أتباع إبليس على نهجه،
 وكان فرعون رمزاً منرموز الاستبداد ، وذكر
 القرآن الأقوام التي استبدت بآرائها و أصروا
 على أعمالهم ، كل هذا سنعطيه من الأهمية
 بالبحث لاعتقادنا بأن ما نعيشه اليوم من
 خراب ودمار كان للاستبداد بالرأي الأثر
 الأبرز فيه ، حتى و القرآن الكريم أكد على
 رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) على
 المشورة ، وهذا إن دل على شيء يدل على
 أن المشورة تأتي ثمارها الإصلاحية بمواجهة
 ما ينتجه الاستبداد من خراب ودمار للشعوب
 ، لما للاستبداد من آثار على مجتمعاتنا،
 وعلينا أن نتوقف عند تعريف الاستبداد قبل
 أن نلج في التفصيل لهذا المصداق الذي
 نرى له من الأهمية التي تحتم علينا الدقة في
 دراسته .

قيل: ((هو تصرف فرد أو جمع في حقوق
 قوم بالمشيئة وبلا خوف تبعه))^(١٧)
 فعرف استبداد السلطة ((السلطة المستبدة
 هي تلك التي تمارس حكم الناس دون أن
 تكون هي ذاتها خاضعة للقانون؛ فالقانون في
 نظر هذه السلطة قيد على المحكومين من
 دون أن يكون قيداً على الحاكم ، ومن هنا
 ففي وسع هذه السلطة أن تتخذ ما تشاء من

هذا خطاب لكل البشر المغرورين الظالمين
 العتاة على مر التاريخ ، وفي كل الإعصار
 والأمصار ، وهكذا فعل بهم استهزائهم
 بالأنبياء واستكبارهم وغرورهم وعداوتهم للحق
 . فالعذاب نتيجة لأعمالكم وجرائمكم^(١٥).

وقال ابن عاشور : (هذا استخلاص لموعظة
 المشركين بمثل عاد ، ليعلموا أن الذي قدر
 على إهلاك عاد ، قادر على إهلاك من هم
 دونهم في القوة والعدد ، وليعلموا أن القوم
 كانوا مثلهم ، متجمعين قوى العقل والحس ،
 وأنهم أهملوا الانتفاع بقواهم ، فجددوا بآيات
 الله ، واستهزؤوا بها وبوعيده ، فحاق بهم ما
 كانوا يستهزئون به)^(١٦).

ثانياً : الاستبداد

في كل مصداق من مصاديق الطغيان يكون
 إبليس مؤسساً له ، فإنه استبد برأيه بعدم
 السجود لآدم (عليه السلام) وأبى أن يسجد ،
 فكان إبليس بامتياز صاحب حجر الأساس
 للاستبداد ، عن طريق قراره الضال وإصراره
 عليه ، حتى بعد أن بين الله للملائكة ١٤٤
 لم لي مج مح مخ مم مي نج
 نج نخ نم ني هج هم هي هي
 يج يح يخ ١٤٤ [البقرة: ٣٠]

وقوله تعالى :أ...ي بي ذ ر ي ١٤٤ [البقرة:

٣٠

ثَأْتَأُ ١٤٤ لم لي مج مح مخ مم مي
 مي نج نخ نم ني هج هم
 [الأعراف: ١٢]

إجراءات أو مواجهة الأفراد لمصادرة حرياتهم ، وممتلكاتهم))^(١٨).

وقيل أن الحاكم المستبد في رأيه يسعى إلى معرفة منافع الناس وتشخيص مصالحهم، ويبدل تمام جهده من أجل تبديل أوضاع المجتمع إلى ما هو مطلوب ومرغوب فيه عند الناس ؛ وذلك لاعتقاده أن الناس هم مصدر قوته ومشروعيته في الرئاسة ، وأن عليه أن يسعى من أجل تحقيق المنفعة العامة ، ولكن بعد مضي مدة من الزمن قد يصبح طالباً لتبعية الناس له . جاعلاً إياهم عاملين في خدمته ويظل على هذا المنوال منتقياً منهم إلى أقصى الحدود ، حتى يتخلص من جميع القيود والالتزامات فيفعل ما يحلو له وما هو موافق لميوله ورغباته ، غير مراعى لمصالح الناس ، ومرتكبا شتى أنواع الظلم والاضطهاد ، إلى أن تصبح جميع أعماله أعمالاً سيئة ، وفي النتيجة يجري على المدن والحواضر الخراب والدمار^(١٩).

ولشهوة التسلط على رقاب العباد تأثيرات قد تؤدي إلى الإطاحة بمن يتصدون في مصيدة الاستبداد ؛ لأن بعض من يجلسون على كرسي السلطة قد لا يكونوا مستبدين قبل جلوسهم ، لكن خضوع الناس وأغراء هذا الموقع المتقدم في المجتمع يصيبهم بالاستبداد .

قال فرعون لقومه: **أُيى بر بز بم بن بي بي تر تر تم تن تي تي تر ثر ثم ثن ثى ثي فى فى قى قى كا كل** [القصص: ٣٨]

هنا يريد فرعون القول بأنهم لم يخلقوا إلا له فيستعملهم في سبيل شهواته وإرادته ويسخرهم لإدراك أغراضه الحيوانية ، وهذا تهديد لمن يقول بغير ذلك فسوف يعدم ويُقطع^(٢٠).

ويرى أن له الحق في وجودهم وأنه صاحب إصدار الأوامر عليهم كما قال للسحرة بعد إيمانهم: **أأ نخ نم نى نى هج هم هى هي يج يح يخ يم يى ذر ذر** [الأعراف: ١٢٣]

وهنا استبد بإصدار القرار دون محاكمتهم فهو يحدد العقاب ، فقال للسحرة **أأ لم لى لى ما مم نرنز نم نن نى نى بر يز يم ين يى يى نج نج نذ نذ ثم ثم نه نه بج بج بر بر** [طه: ٧١]

استبداده بالرأي حتى أنه لا يقبل الآراء قال لقومه **أأنى نى نى ير يز يم ين يى يى نج نج نذ نذ ثم ثم نه نه بج بج بر بر نجر نجر تر تر ته ته** ثم جح جح [غافر: ٢٩]

فينطق على السنه والطريقة التي كان يتخذها ويأمر بها ، وكأن الآية محاذاة بحكم لقول فرعون هذا فكذب الله تعالى بقوله **كذ كل كم كل لى لى له له مح مح** [هود: ٩٧]

والرشيد : فعيل من الرشد خلاف الغي ، أي : وما أمر فرعون بذى رشد حتى يهدي إلى الحق ، بل كان ذا غي وجهالة^(٢١).

يسحرون عنده ، فأمر عند ذلك بقتل أبناء بني إسرائيل حذراً من وجود هذا الغلام^(٢٤).

وكذلك الملاء رغم عجزهم وعدم تحقيقهم أي تقدم للقضاء على أنبياءهم الذين أرسلوا إليهم إلا أنهم أصروا على استبدادهم للحفاظ على مكاسبهم السياسية التي كانوا يتمتعون بها ، عن طريق استحوادهم على خيرات أقوامهم فكانوا أصحاب الأمر والنهي ، فهم من يتخذ القرارات و يعملون بما يخدم مصالحهم الشخصية وإن أوصلهم إلى العذاب الأليم **ثَأْتُوا لِي مَا مِم نر نز نم نن ني ني ي** **ير يزيم** [هود: ٣٢]

لقد جاءهم بالبينة ولكنهم عرضوا عنها وجاءهم بالتحدي فلم يقدرُوا عليه وكذبوه ، وهاهم يطالبوه بأن يأتيهم بالعذاب ليثبت صدقه^(٢٥).

وقيل :لقد قالوا هذا بعد أن عجزوا عن دحض حجته ، وأخفوا هذا العجز في ثياب الجبابة ومعنى قولهم والله أعلم : يا نوح قد جادلنا ، فأكثرنا جدالنا ، حتى سئنا ومللنا ، وما نحن لك بمؤمنين فأتنا بما تعدنا من العذاب ، أي ما أنذرتنا به في أول دعوتك من عذاب أليم^(٢٦).

وهنا نقف على ملاء أصروا على استبدادهم حتى أنهم طلبوا من نبيهم أن يثبت ما وعدهم به من عذاب : **أأ قى قى كا كل كم كى كى لم لى لى ما مم نر نز نم** [الأعراف: ٧٧]

حتى وصل به الاستحواذ على كل شيء ، وهذا هو ديدن المستبدين يحبون الاستئثار على كل شيء إذ قال : **أأ مئ بر بز بم بن بي بي تر تر تم تن تي تي** [الزخرف: ٥١] وهنا جاء ظلم الرعية والاستهانة بحقوقها وعدم الاعتراف بأصالتها ووجودها والتحكم بشؤون الناس بإرادته^(٢٢).

فهذا كما يسميه النائيني استيلاء السلطان وتصرفه في المملكة باعتبار كونه من باب التملك أو من باب الولاية ، فهو يتصرف تصرف الشخص في ملكه الخاص ، المملكة وما فيها يرى أنها ملكه وعقاره حاسباً أهلها كالأنعام والأنعام والعبيد^(٢٣).

ومن قراراته الاستبدادية الأشد قسوة قتله لكل ذكر يولد من بني إسرائيل **ثَأْتُوا بجز بجز به تج تج تز ته ثم جج جج حج حج حج حج سح سخ سم صح** [القصص: ٤]

وكان الحامل على هذا الصنيع القبيح أن بني إسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم ما يأترونه عن إبراهيم (عليه السلام) ، و أنه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه . وذلك حين ما جرى على سارة امرأة الخليل من ملك مصر ، من إرادته إيها على السوء وعصمة الله لها .. وكانت هذه البشارة مشهورة في بني إسرائيل ، فتحدث بها القبط فيما بينهم ، ووصلت إلى فرعون ، فذكر له أمراءه وأساورته وهم

أن تكون قراراته ذات أثر على مستقبله السياسي ، والكثير منها قد تكتب نهايات ذلك المستبد ، كما كان قرار ابن نوح (عليه السلام) ، وفرعون والكثير ممن وردت أسماؤهم في القصص القرآني ، فكان هذا الفكر الاستبدادي المحرك لتلك الشخصيات والأقوام مما أدى إلى إهلاكهم فأدى اختزال العقول بعقل الحاكم المستبد المتسلط على الشعوب إلى سقوط دول أو أجزاء من تلك الدول في زماننا الحاضر ، فكان قتل الأرواح وسفك الأموال هو نتيجة للاستبداد أو الانسياق وراء الآراء الخاطئة أو المتعمدة لوعاظ السلاطين كما كان قارون وهامان لفرعون .

ثالثاً: الاستعلاء

هو صفة من الصفات الذميمة التي ذكرها القرآن الكريم ونسبها إلى فرعون بعد إسرافه في الإفساد وقد سيطرت عليه آفة الاستعلاء وهي من نتائج النفس الطاغوتية أي تجبر وعتا وطغى ، وأثر الحياة الدنيا ، وأعرض عن طاعة الرب الأعلى^(٢٨).

ثُمَّ أَجْرَ بِهِ تَجْرَتَهُ تَمْ تَهْ ثَمَّ جَدَّ جَمَّ حَجَّ حَمَّ خَجَّ حَمَّ سَجَّ سَخَّ سَخَّ سَخَّ صَحَّ
القصص: ٤] ، وكان إرسال موسى وهارون (عليهم السلام) بآيات إلى فرعون وملئه للقضاء على سنة الشيطان التي سنّها لأتباعه ، ثُمَّ أَتَىٰ بِرَبِّهِ بِمِثْلِ بِنِّ
جِي [المؤمنون: ٤٦]

لكن قوم ثمود ظهر استبدادهم في قرارهم بعقر الناقة، التي حذرهم نبيهم من المساس بها، فقال: **أَأَبِي دُرَيْبٍ مُّرْتَضٍ** ثم **مُنَىٰ مِي بَرِّبَزٍ [هود: ٦٤]**

ولكن عقولهم المريضة وشيطانهم المسيطر عليهم أوى بهم إلى عقرها قال تعالى : **أَأَبِي بِي تَرْتَضِي تَم تَنِي تِي تَرْتَضِي تَم [هود: ٦٥]** أخبر الله تعالى عن قوم صالح بأنهم عصوه في ما أمرهم وارتكبوا ما نهاهم عنه من أذى الناقة ، وإنهم عقروها ، والعقر قطع العضو الذي له سرايا في النفس ، وكان سبب عقورهم لها أنهم كرهوا أن يكون لها يوم ولهم يوم في الشرب ؛ لضيق الماء عليهم والمرعى على ماشيتهم فعقرها (أحمر ثمود) وضربت به العرب المثل في الشؤم ، فلما فعلوا ذلك قال لهم صالح: **أَأَبِي تَرْتَضِي تَم تَنِي [هود: ٦٥]** أي تلذذوا ، في ما يريدون من المدركات الجسام من المناظر والأصوات، وقيل معنى (في داركم) أي في دار الدنيا^(٢٧) .

ونستخلص أن الاستبداد يصيب فكر الإنسان ويظهر هذا واضحاً في قراراته التي يتخذها ، فتكون مرآة عاكسة توضح الفكر المستبد المصدر لتلك الأوامر المهلكة للفرد والجماعة ، وخصوصاً على مستوى القرارات السياسية التي عادةً تكون آثارها المدمرة واضحة ذات أثر مؤلم للمجتمعات التي يحكمها صاحب العقلية الاستبدادية حتى يصل به الحال إلى

طاعة الله ويبيدهم عن الاستكفاف والتعالى
عن عبوديتة^(٢٩).

حتى قالوا: أ.....سَخْ سَم صَخْ صَم
ضَجْ ضَحْ ضَخْ ضَم طَحْ ظَم عَجْ عَم
عَجْ عَم فَجْ فِدْ فِجْ فُجْ [هود: ٢٧]، لقد
قالوا له : ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا
كالباعة والحاكة وأشباههم ، ولم يتبعك
الأشراف ولا الرؤساء منا ، ثم هؤلاء الذين
اتبعوك لم يكن عن تروٍ منهم ولا فكر ولا
نظر بل بمجرد ما دعوتهم أجابوك^(٣٠).

ويرى البحث أن هذا ما سار عليه الطغاة من
تحويل المجتمع إلى طبقات ، حتى لا يكون
للفقراء هم إلا العيش ، وكذلك عندما يتبعون
المصلحين ، يكون الجواب حاضراً وهو أراذل
القوم وغير المتعلمين وأرباب الحرف الدنيئة

فكان فرعون يتعالى على أهل مصر حتى
قال أأ.....^{١٢} نر [النازعات: ٢٤]

يقول صاحب التبيان : فالأعلى المختص
بعلو معنى صفته على غيره عما لا يناله
بكيد وينال هو به ، ومن هنا خرج بالعلو إلى
التعظيم ، ولم يكن مثل ذلك في جهة من
الجهات ، وكأنه قال : أنا الذي أنال بالضرر
من شئت ولا ينالني غيري ، وقيل : إنه جعل
الأصنام أرباباً فقال : أنا ربهما وربكم ، أي
انه استعلى على الجميع^(٣١).

ومن الطبيعي عند الشعور بالاستعلاء أنتتولد
صفات ذميمة ، ومنها التحقير ، وأول من
أرسى قاعدة التحقير التي رفعها الطغاة ضد
البشرية على امتداد التاريخ إبليس^{١٣} عم
عَجْ عَم فَجْ فِدْ فِجْ فُجْ قَم كَجْ
[ص: ٧٦]

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن التعالى
والتحقير جاء من رأس القافلة البشرية وهم
قوم نوح ، الذين بعث الله تعالى نوح (عليه
السلام) بالدواء الذي يشفيهم من داءهم الذي
أصيبوا به والرجوع بهم إلى طريق الحق بعد
أن أضلوا وساروا في اتجاه العذاب الأليم ،
فقال (عليه السلام): أأ...نَجْ نَحْ نَخْ نَم نَهَجْ
بِحْ بِجْ بِدْ بِهْ بِجْ بِدْ [هود: ٢٦]

حتى ذكرت الآيات كل المغريات التي قدمها
نوح^{١٤} لئلا ي لي مج مح مخ مم
مي مي نج نح نخ نم [نوح: ١١ - ١٢]
فكان جوابهم مليء بالاستعلاء والتحقير له
وأتباعه^{١٥} تم تم جد جم حج حج
ثم سجسد سخ سم صخ صم ضج
ضد ضد ضم طح ظم عج عم عَجْ
عَم فَجْ فِدْ فِجْ فُجْ [هود: ٢٧]

يرى الطباطبائي أن الملاهم أشراف القوم
وخواصهم ، والاعتراض عليهم لم يكن
متوقفاً؛ لأنهم تعالوا على القوم بهيبتهم
وزينتهم التي ملئوا بها قلوب قومهم وعيونهم،
حتى أنه ذكرهم بأنه ناصح لهم ليقربهم من

ويرى صاحب الأمتل كان هذا أول رد فعله أن قال فمن ريكما يا موسى ، والعجيب أن فرعون المغرور والمعجب بنفسه لم يكن مستعداً حتى أن يقول : من ربي الذي تدعيانه^(٣٤)؟.

ومن الواضح استهزاء فرعون عندما قال وما من إظهار السيطرة والقوة عند الاستهزاء ، ولو كان يريد أن يعرف رب موسى وهارون لكان جوابه من ريكما مع ذلك كان جواب موسى (عليه السلام) : **أأ ترئرم من ئى ئى بر بزبم** [الشعراء: ٢٤]

يتجه فرعون بنظره إلى من حوله فيقول : **أأ ترتم** [الشعراء: ٢٥] مستهزئاً بالله سبحانه وتعالى : **أأ تي تي ثرئزئم** [الشعراء: ٢٦] ، وهنا يريد أن يوهم من حوله أن الله سبحانه وتعالى قد استهزأ بهم وأرسل إليهم رسولاً مجنوناً ، وهذا اعتراف منه بأن هناك رباً يرسل الرسل قال : **أأ ئي غي غي قى قى كا** [الشعراء: ٢٧]

هذا هو حال اللطغاة ، يثيرون الشبهات ؛ ليجعلوا الغموض مسيطراً على الناس ، والتشكيك قائماً حتى يفقد اليقين إمكانية الوصول إلى عقولهم .

ولهذا قال موسى (عليه السلام) : **أأ كى كى لم لى لي ما مم نر نر** [الشعراء: ٢٨]

وهذه إشارة لهم أن يرجعوا إلى صوابهم ويتفكروا بما يقول دون التفات إلى المغريات

ويرى الألوسي أن فرعون عند ادعائه الربوبية يؤكد على وجوب طاعته والانقياد له وعدم الاشتغال بطاعة غيره^(٣٢).

ثأأأ ترئرم من ئى ئى بر بزبم بن بي ترئزئم [هود: ٩١] فهم ضيقوا الصدور بالحق الواضح لا يريدون أن يدركوه ، وهم يقيمون القيم في الحياة بمقياس القوة المادية الظاهرة ، فلا وزن عندهم للحقيقة القوية التي يحملها شعيب ويواجههم بها ، وفي حسابهم عصبية العسيرة ، لا عصبية الاعتقاد ، وصله الدم لا صلة القلب ، ثم هم يغفلون عن غيرة الله على أوليائه فلا يضعونها بالحساب ، وحين تفرغ النفوس من العقيدة القومية والقيم الرفيعة والمثل العليا فإنها تقيم على الأرض مصالحها الغربية وقيمها الدنيا ، فلا نرى حرمة يومئذٍ لدعوة كريمة ولا لحقيقة كبيرة ، ولا نتخرج من البطش بالداعية إلا أن تكون له عصبية تؤويه ، وإلا أن تكون معه قوة مادية تحميه^(٣٣).

المطلب الثالث : مصاديق الطغيان في القصص القرآني

أولاً: الاستهزاء

كان الاستهزاء في أعلى مستوياته قد جسده فرعون ، حيث وضع خط الشروع له ، ونقطة الانطلاق ، في مرحلة التسافل البشري عندما قال : **أأ** [الشعراء: ٢٣]

لامتناعه عن السجود اعتقاده بأنه أفضل من
آدم **ثَأْتَأُ** لَح لَمْ لِي لِي مَج مَخ **م م** مِ
مِي نَج نَح نَخ نَم نِي نِي هَج
هَم [الأعراف: ١٢]

والاستكبار ليس له مواطن حق أبداً ، بل
ينتج عن الأهواء النفسية والرغبات و
الشهوات الشيطانية وهو أكبر خطر يهدد
الحياة السياسية وأمن الشعوب والمجتمعات
البشرية^(٤٢) .

وقد وردت في القصة القرآني آيات بينت
هذه الظاهرة التي استحوذت على عقول
الكثير ممن سار على هذا الطريق الذي
افتترسه أول المستكبرين فكان لأصحاب
الغرور والإعجاب بالنفس تأثر واضح على
منهجهم في مواجهة الأنبياء الذين بعثوا من
أجل هدايتهم إلى الصواب فكان الرد الذي
تميز به المستكبرين كما بين لنا ذلك قوله
تعالى : **سُجِّدْ سَخَّ سَمَّ صَخَّ صَمَّ**
ضَجَّ ضَخَّ ضَمَّ طَخَّ طَمَّ [الأعراف:

[٣٦]

واستعرض القرآن الكريم الأحداث الاستكبارية
، وحالات الحكومات الاستكبارية التي
حكمت على هذا الأساس .

وهذه النظرة الاستكبارية تقول : إن عصارة
المجتمع والقانون تتلخص في وجود هذه
الحكومات ، وإن رؤية الحكام الطغاة ينبغي
أن تحل محل نظام الصالحاء السياسيين^(٤٣) .

نِر نَز نَم نِن نِي نِي **بِر بَز بِم بِن** **فصلت: ١٥** ، هنا يقول ابن كثير لقد بغوا
وعتوا وعصوا ، لأنهم بلوا بشدة تركيبهم
وقواهم اعتقدوا أنهم يمتنعون بها من بأس
الله^(٣٩) .

وكانت عندهم أبنية مرتفعة ومصانع
ظنوا أنها ستحميهم من العذاب ، وكان هذا
الاستغناء عن نصيحة الرسل ، **ثَأْتَأُ** يِر
يَز يِم يِن يِي يِي **بِج بَج بَد بَد بَج بَج بِر**
بِر بِر بَج بَج بَد بَد بَج بَج بِد بِد
بِد بِد بَج بَج بَد بَد بَج بَج بَد بَد
بِد بِد بَج بَج بَد بَد بَج بَج بَد بَد
بِد بِد بَج بَج بَد بَد بَج بَج بَد بَد
عَم **عَج** [الشعراء: ١٢٣ - ١٢٩]

وقيل : الآية : العلامة والبناء على الأماكن
المرتفعة ، اخترعته عاد الأولى هروبا من
الطوفان بعد أن شوّهت الأساطير حقيقة
طوفان نوح (عليه السلام) ، واعتبروه ثورة
طبيعية يمكن مقاومتها بالبناء فوق المرتفعات
وتحصين المنشأة على الأرض ضد
السيول^(٤٠) .

وقيل : المصانع كانت لنحت الجبال وبناء
القصور .
وقيل : هي البروج المشيدة والبنيان
المخدد^(٤١) .

ثالثاً : الاستكبار

يُعَدُّ إبليس أول المستكبرين ، كما ورد في
القرآن الكريم أنه عصى أمر ربه مستكبراً
ثَأْتَأُ يِي يِن يِد يِد يَم يَم يَم يَم
بِه تَج تَح [البقرة: ٣٤] ، وكان المسوغاً

المجتمعات والأفراد، وبين البحث إن الطغيان يكون في بعض الأحيان سمة لمجتمع كامل وليس لأفراد أو لحاكم معين .
كذلك بينا كيف خص الله سبحانه وتعالى أحد الطغاة وهو فرعون بأرسال الرسل اليه بسبب طغيانه وجبروته .

وتكون هذا البحث من عدة مطالب ، فكان المطلب الأول تعريف الطغيان في اللغة والاصطلاح ، والمطلب الثاني تناولنا صفات الطغاة التي جاءت في القصص القرآني ، ومنها الجحود ، والاستبداد ، والاستعلاء ، أما المطلب الرابع فكان عن مصاديق الطغيان في القصص القرآني وكانت هذه المصاديق الاستهزاء ، والاستغناء ، والاستكبار .

وامتد هذا الفقه الشيطاني للاستكبار حتى أصاب أقوام قد ذكرها القرآن الكريم ، **ثَأْتَأُخ** لم لي مج مخ مم مي نج نج نخ نم ني هج هم هي يج يح يخ [الأعراف: ٨٨] ، وهنا القرآن الكريم يضرب لنا الأمثال لأخذ الدروس والعبر وهو يذكر أن الاستكبار لا يصيب الأفراد إنما أقوام أصيبت بهذا الداء **ثَأْتَأُ ثِي ثِي فِي فِي قِي قِي كَا كَل كَم كِي كِي لِم لِي مَا مَم مَر نَز نَم نِي نِي نِي نِي** [يزيم بين [فصلت: ١٥]

الخلاصة

تناول البحث ظاهرة سياسية خطيرة وردت في القصص القرآني وهي ظاهرة الطغيان ، ووجود الطغاة في المجتمعات ، والأثر السلبي الذي تعكسه هذه الظاهرة على

الهوامش:

(١٦) التحرير والتنوير ، ابن عاشور : ٤٠١٥

(١٧) طبائع الاستبداد ، عبد الرحمن

الكواكبي : ٢٣ .

(١٨) نظم الحكم المعاصرة ، محمد الشافعي

: ٣١٨ .

(١٩) ظ : الفلسفة السياسية عند أبي الحسن

العامر ، علي فريديوني : ٩١ .

(٢٠) ظ : تنبيه الأمة وتنزيه المله ، محمد

حسين النائيني : ٣٤ .

(٢١) ظ : قصص الأنبياء ، الشعراوي :

١٥٧ .

(٢٢) ظ : النظام السياسي في الإسلام ، باقر

شريف القرشي : ٨١ / .

(٢٣) ظ : تنبيه الأمة وتنزيه الملة ، محمد

حسين النائيني : ٣٨ .

(٢٤) ظ : قصص الأنبياء ، إسماعيل ابن

كثير : ٤ / ٢ .

(٢٥) ظ : الانحرافات الكبرى القرى الظالمة

في القرآن الكريم ، سعيد أيوب : ٥٠ .

(٢٦) ظ : الميزان في تفسير القرآن ، محمد

حسين الطباطبائي : ٢١٥ / ١٠ .

(٢٧) ظ : التبيان ، الطوسي : ١٩ / ٦ .

(٢٨) ظ : قصص الأنبياء ، ابن كثير :

٤ / ٢ .

(٢٩) ظ : الميزان في تفسير القرآن ، محمد

حسين الطباطبائي : ١٧٥ / ٨ .

(٣٠) ظ : تفسير القرآن ، ابن كثير : ٢ /

٤٤٢ .

(١) ظ : العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي :
٥٢ / ٣ .

(٢) ظ : معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين
أحمد بن فارس بن زكريا : ٤١٢ / ٣ .

(٣) ظ : لسان العرب ، ابن منظور : ٨ /
١٧٠ .

(٤) ظ : تاج العروس من جواهر القاموس ،
محمد مرتضى الحسيني الزبيدي : ٢٢٤ / ١٠ .

(٥) ظ : مجمع اللغة العربية ، أحمد حسن
الزيات : ٥٦٥ / ٢ .

(٦) ظ : لسان العرب ، ابن منظور : ٨ /
١٧٠ .

(٧) ظ : تاج العروس من جواهر القاموس ،
محمد مرتضى الحسيني الزبيدي : ٢٢٤ / ١٠ .

(٨) ظ : المفردات في ألفاظ القرآن الكريم ،
الراغب الأصفهاني ، (مادة طغى) : ٣٨٠ .

(٩) ظ : روح المعاني في تفسير القرآن
العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي :

١٥٢ / ١٢

(١٠) ظ : الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم
الأقوال ، الزمخشري : ٤٣٢ / ٢ .

(١١) ظ : السنن الإلهية ، عبد الكريم زيدان
: ٢١٦ .

(١٢) ظ : مفردات ألفاظ القرآن الكريم ،

الراغب الأصفهاني : مادة جحد : ١٨٧ .

(١٣) ظ : قصص القرآن الكريم ، علي محمد
علي دخيل : ٣٧ / .

(١٤) ظ : تبين القرآن ، محمد الحسيني

الشيرازي : ٥٣ / ٢ .

(١٥) ظ : الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل

، ناصر مكارم الشيرازي : ٢٩١ / ١٦ .

١. الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ، الطبعة الثانية ٢٠٣/١٦ .
٢. إنَّ فرعون علا في الأرض، الدكتور محمد أبو فارس، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ .
٣. الانحرافات الكبرى القرى الظالمة في القرآن ، سعيد أيوب ، دار الهادي بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ، ١٩٩٢ م .
٤. أولو العزم من الرسل ، عمر أحمد عمر ، دار حسان للطباعة والنشر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ م .
٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، ت ١٢٠٥ هـ دراسة وتحقيق علي شيري - دار الفكر ١٩٩٤، ١٤١٤ هـ
٦. التبيان في تفسير القرآن، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت ٤٦٠ هـ ، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملی ، دار أحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى، (د.ت) .
٧. تبیین القرآن، محمد الحسيني الشيرازي ، مؤسسة المجتبی ، الطبعة الأولى، (د.ت) .
٨. تحرير المعنى السديد وتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد التحرير والتوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن
- (٣١) ظ : التبيان ، الطوسي : ١٠ / ٢٥٨ .
- (٣٢) ظ : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الأوسي ، : ٢٠٣/١٦ .
- (٣٣) ظ : في ضلال القرآن ، سيد قطب : ١٩٢٢/٤ .
- (٣٤) ظ : الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٣٥٩/١١ .
- (٣٥) ظ : الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي : ٣٧٤/١٠ .
- (٣٦) ظ : ألو العزم من الرسل ، مأمون غريب : ٢٥ .
- (٣٧) ظ : إن فرعون علا في الأرض ، محمد أبو فارس : ٢٠ .
- (٣٨) ظ : الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي : ٢٣٠/١٠ .
- (٣٩) ظ : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ٩٤/٤ .
- (٤٠) ظ : الانحرافات الكبرى القرى الظالمة في القرآن الكريم ، سعيد أيوب : ٧٠ (٤١) ظ : معالم التنزيل في التفسير والتأويل، البيهقي : ٢٢٩/٦ .
- (٤٢) ظ : الفكر السياسي في الإسلام المبادئ والأطر العامة ، عباس عميد زنجاني : ٣١٣ (٤٣) ظ : المصدر نفسه : ١٤٤

١٤. طبائع الاستبداد ومصارح الاستعباد ، عبد الرحمن ابن أحمد بهائي الكواكبي، دار النشر ، دار الكتاب المصري، الطبعة الأولى ، سنة ٢٠١٢ م .
١٥. العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) ، تحقيق مهدي المخزومي، مؤسسة دار الهجرة - إيران . (د . ت) .
١٦. الفكر السياسي في الإسلام المبادئ والأطر العامة، عباس عميد زنجاني، ترجمة ضياء الدين الخزرجي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م.
١٧. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي ت ١٣٥٨ هـ، الناشر دار الشرق - بيروت - القاهرة ، الطبعة السابعة عشرة، ١٤١٢ هـ .
١٨. قصص الأنبياء ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، (ت ٧٧٤ هـ) تحقيق مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ .
١٩. قصص الأنبياء ومعها سيرة الرسول (ص)، محمد متولي الشعراوي، الناشر حسن محمود ، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م .

- عاشور التونسي، (ت ١٣٩٣ هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر-تونس، ١٩٨٤ م .
٩. تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق يوسف عبدالرحمن المرعشني، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ١٤١٢ هـ . ١٩٩٢ م .
١٠. تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق يوسف عبدالرحمن المرعشني، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ١٤١٢ هـ . ١٩٩٢ م .
١١. تنبيه الأمة وتزيه الملة، محمد حسين النائيني، تحقيق عبد الكريم آل نجف، دار الكتب المصري- القاهرة، دار الكتب اللبناني - بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٣٤ هـ ، ٢٠١٢ م .
١٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي، إدارة الطباعة المنبرية دار إحياء التراث العربي، (د . ط)، (د.ت) .
١٣. السنن الإلهية في الأمم والجماعات في الشريعة الإسلامية، الدكتور عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٣ م .

٢٧. نظم الحكم المعاصرة ،دراسة مقارنة في أصول النظم السياسية،محمد الشافعي،دار عالم الكتب، ١٩٨٤م.

٢٠. قصص القرآن مقتبس من تفسير الأمتل، اعداد وتنظيم حسين الحسيني، (د . ط)، (د . ت) .

٢١. لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم ابن منظور الأفريقي المصري ت ٧١١ هـ ، نشر أدب الحوزة قم - إيران ١٤٠٥ هـ .

٢٢. معالم التنزيل في التفسير والتأويل ، الحسين بن مسعود بن محمد البغوي ، (ت ٥١٠ هـ)، تحقيق خالد بن عبدالرحمن، (د . ط)، (د . ت) .

٢٣. معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسن أحمد بن فارس زكريا الفراهيدي (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ١٤٠٤ م .

٢٤. المفردات في الفاظ القرآن الكريم ، الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ م .

٢٥. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، (ت ١٤١٢) منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم المقدسة (د . ط)، (د . ت) .

٢٦. النظام السياسي في الإسلام ، باقر شريف القرشي ، دار التعارف - بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٢٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .